

تقارير | Reports

تقرير أعمال مؤتمر "المدارس الدينية التقليدية بالمغرب العربي وإكراهات التحول العولمي"

Report of the proceedings of
the conference "Traditional
Religious Schools in the
Maghreb and the Constraints
of Global Transformation"

زينب أبو الغازي⁽¹⁾

Zineb ABOU EL GHAZI

(1) طالبة باحثة بسلك الدكتوراه، مؤسسة دار الحديث الحسنية، جامعة القرويين (المغرب).



وجماعية، وإنشاءات مُلوكية، واستفاد منه أبناء الأغنياء والفقراء على السواء. وأكد على حرص المملكة خلال العشرين سنة الماضية، على تأهيل التعليم العتيق من عدة جوانب، لاسيما من خلال التأطير القانوني، والرفع من عدد المؤسسات، وإدخال آليات حديثة للتسيير وتقديم الدعم المادي للمؤسسات التعليمية. وعدد المزايا التي يوفرها نظام التعليم العتيق للطالب: مزايا علمية تتمثل في العلوم التي يتلقاها، ومزايا تؤهله للاندماج في سوق الشغل. وانتهى إلى أن آفاق العمل متوجهة إلى تأهيل التعليم العتيق من جانب التعديل القانوني من خلال إيجاد إطار قانوني لتأهيل الكتاتيب القرآنية من أجل الرقي بها إلى مستوى تكون فيه جزءا شبه طبيعي من منظومة التربية على الصعيد الوطني سواء تعلق الأمر بالطلبة أم بالعاملين في هذا القطاع.

وقد عنيت كلمة السيد مدير دار الحديث الحسنية بالأهمية القصوى التي يحظى بها التعليم العتيق، والقيمة العلمية التي يكتسيها بالنظر إلى أن حفظ القرآن الكريم والإلمام بالقراءات القرآنية المتواترة وإتقانها يتطلب وقتا طويلا وجهدا شاقا. كما أشار د. أحمد الخمليشي إلى الصعوبات التي يواجهها طلبة التعليم العتيق في إيجاد منصب عمل يتناسب مع تكوينهم ومؤهلاتهم، داعيا إلى التفكير في سبل لمواكبة هذه الفئة المحافظة على الموروث القرآني وإدماجها

نظم معهد الدراسات الإستيمولوجية - أوروبا بشراكة مع مؤسسة دار الحديث الحسنية - جامعة القرويين - الرباط مؤتمراً دولياً في موضوع "المدارس الدينية التقليدية بالمغرب العربي وإكراهات التحول العولمي" وذلك يومي 16 و17 مارس المنصرم.

وقد عرف المؤتمر مشاركة متخصصين من المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا، قدموا أوراقاً علمية في أربعة محاور رئيسة في الموضوع هي:

- التعليم الديني التقليدي: النشأة والتطور.
- طرائق التدريس في التعليم العتيق.
- التعليم الديني التقليدي بين الخصوصية والتحديث.
- مظاهر الإبداع والتجديد.

افتتح المؤتمر يوم 16 مارس على الساعة العاشرة صباحا بآيات بينات من الذكر الحكيم، تلتها كلمة كل من معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ الدكتور أحمد التوفيق، والسيد مدير مؤسسة دار الحديث الحسنية الأستاذ الدكتور أحمد الخمليشي، والسيد المدير العام لمعهد الدراسات الإستيمولوجية الأستاذ الدكتور بدي المرابطي.

وقد قدّم معالي الوزير ورقة تأطيرية عن التعليم العتيق بالمغرب نشأة ومساراً ومآلاً، بيّن فيها أنه كان نظاماً تعليمياً متكاملًا ومتناسقًا، تكاملت الأدوار في إنشائه ورعايته بين مبادرات إحصانية فردية

التي تفرض نفسها قوةً جارفةً وضاغطة، كما كان من أهداف هذا اللقاء دراسة آفاق التجديد والانفتاح على مناهج العصر ومعارفه، وتقديم رؤى جديدة تقارب الموضوع.

وفيما يأتي تلخيص لأهم ما جاء في الأوراق المشاركة في هذا المؤتمر:

ناقشت ورقة الدكتور محمد عبد الحي، عميد كلية الوصل بدبي، الموسومة بـ **"المحاضرة: النشأة والتطور والمآلات"** نظام التعليم في شمال غرب إفريقيا، فيما بين (2هـ/78م-13هـ/19م): ما هو وكيف كان وما مصيره؟ وهو ما أطلق عليه العنوان مجازاً "المحاضرة"، فالمحاضرة اسم أطلق على أكثر من صيغة من صيغه، في أوقات مختلفة ومناطق مختلفة من بلدان المغرب العربي وظل مصطلحاً خاصاً بتعليم الثقافة العربية الإسلامية في هذه المنطقة. لذلك فمحور القول في هذه الورقة هو نشأة التعليم العربي الإسلامي في هذه المنطقة وتطوره فيها، ثم استشراف مآلاته بعد ما ظهر نظام التعليم الحديث الأكثر ارتباطاً بحاجات المجتمع اليومية وبالنظام الإنتاجي وبسوق العمل.

ورام الدكتور محمد بن الطيب، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة، من خلال بحثه **"التعليم التقليدي في جامع الزيتونة: النشأة والتطور"** تقديم دراسة تزُسد وجوه التقليد المتوارثة في التعليم الزيتوني من جهة، وتلتقط ملامح التّجديد والإصلاح من جهة

في الحياة المهنية. ودعا العلماء والفقهاء إلى بذل ما في وسعهم لجعل التعليم العتيق مفيداً من الناحية الدينية والعقدية ومن ناحية ممارسة الحياة العملية.

أكد د. بدي المرابطي في كلمته أن تجربة المدارس الدينية التقليدية في المغرب العربي عموماً، وفي المغرب بشكل خاص، تحظى باهتمام كبير من قبل الباحثين. وأبرز أن بعض المؤسسات التعليمية المغاربية عرفت مستوى متزايداً من التفاعل بين العلوم الدينية والعلوم الإنسانية والاجتماعية وإن بنسب وعلاقات مؤسسية وأكاديمية تختلف من بلد إلى آخر ومن مؤسسة جامعية إلى أخرى، مشيراً إلى أن قبلة العديد من الباحثين عن التكوين في مجال العلوم الدينية (من بلدان آسيا وإفريقيا وغيرها) تحولت، بشكل لافت، من الوجهة التقليدية بمصر والشرق الأوسط إلى بلدان المغرب العربي. وأبرز أن هناك عدداً كبيراً من الآليات المعرفية والمنهجية التي تحتاج إلى مراجعة جدية، وخلص إلى أن أشغال هذا المؤتمر ستساهم في تحقيق هذه الغاية، من خلال استقراء تجارب التعليم الديني في البلدان المغاربية.

وسعى هذا المؤتمر إلى إلقاء الضوء على المؤسسات التعليمية الدينية في بلدان المغرب العربي باعتبارها مركزاً رئيساً لمجتمعات هذه البلدان، وإلى بيان أحوالها، وتمييز نقط الاشتراك والافتراق بينها، وتفاعلها مع إكراهات العولمة

واهتمام السلاطين المغاربة بها وتأهيلها. كما قدمت تصورًا عامًا حول مركزية الدرس اللغوي في برامج هذا النمط من التدريس قديمًا، مركزة بالأساس على خصائصه المعرفية والبيداغوجية قبل تأهيل المنظومة وبعدها.

كما قدم الدكتور زهير قزان، باحث جزائري بمؤسسة طابة بمصر، ورقة -عن بعد- بعنوان **"مناهج التعليم في الزوايا الجزائرية"**، وقد اهتم في ورقته بالتعريف بالزوايا وتاريخها وأنواعها، والتعريف بمقومات المنهج التعليمي في الزوايا الجزائرية، وبيان خصائص التعليم في الزوايا ومميزاته والصعوبات التي يواجهها، والبحث عن المنهج الفكري والأسس التي قام عليها ومدى قدرته على مواجهة التطورات الحديثة.

وفي السياق نفسه، قدم الدكتور عادل فائر، أستاذ التعليم العالي بجامعة ابن زهر -أكادير، بحثًا في موضوع **"طرائق التدريس في التعليم المغربي العتيق"**، وصف فيه مسالك هذا التعليم، بدءًا بتفصيل طرائق تحفيظ القرآن والتعلمات الأولية التي يتلقاها الطفل في الكتابات القرآنية، ومرورًا بذكر طرائق تدريس العلوم في التعليم العتيق وخاصة منها القراءات وعلوم العربية، ثم خصص مبحثًا لركن متين من أركان هذه المنظومة وهو ما يتعلق بجانب القيم. وختم الباحث ورقته ببيان بعض جوانب القصور في طرائق هذا التعليم، ومجهودات الوزارة الوصية في تداركه.

وأبرز الدكتور عزيز الخطيب، أستاذ التعليم العالي بمؤسسة دار الحديث الحسنية، في بحثه

أخرى، بهدف الوقوف على أسباب التقليد ودواعي التجديد، وعلى خصائص التعليم الزيتوني ومميزات الذهنية التجديدية لدى علمائه، وخصوصيات المقاربة الإصلاحية التي أوردوها لهذه المؤسسة التعليمية العريقة، ومعالم التطوير في برامجها ومناهجها وملامح التجديد في طرائقه ونظمه وأساليبه لدى أبرز رواد الإصلاح فيه.

وقد عرض الدكتور عبد الحليم بيشي، أستاذ التعليم العالي بجامعة قطر، في ورقة بعنوان **"الزوايا والمدارس التعليمية في الجزائر: المسار والمآل"** لنشأة الزوايا الجزائرية، وأدوارها التعليمية ومناهجها البيداغوجية، وعرف بأنواعها وأشكالها، ومميزات الدرس التعليمي فيها وتحدياته، وذلك بعرض نماذج من تلك الزوايا الفاعلة. إضافة إلى التعرف على مسارات التواصل بينها وبين رصيفاتها وشقيقاتها في أقطار الغرب الإسلامي كله. كما حاول الباحث اقتراح البدائل التي تبقى رسالة الزوايا قائمة في خضم التحولات العولمية، مع العرض لتجارب الجزائر في تطوير التعليم التقليدي، وتقييم تلك التجارب سلبيًا أو إيجابيًا.

وضمن المحور الثاني، جاءت ورقة الدكتور عبد الله الرشدي، أستاذ التعليم العالي بمؤسسة دار الحديث الحسنية، الموسومة بـ **"الدرس اللغوي بمؤسسات التعليم العتيق بالمغرب بين سؤال الخصوصية المعرفية والبيداغوجية وسؤال التحديث"** التي تناولت ماهية التعليم العتيق، وقدم منظومته وأصالتها

افتتحت أعمال اليوم الثاني من المؤتمر قُرابية الساعة التاسعة والنصف صباحًا بورقة للدكتور عمار بنحمودة، باحث في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، في موضوع "أزمة تجديد التعليم الديني في الكتاتيب والمدارس القرآنية بتونس" ضمن المحور الثالث، استقرا فيها صاحبها تطوّر طرائق التعليم الديني وفضاءاته ووظائفه العلمية والاجتماعية والسياسية، وقسم هذه المراحل تاريخيًا ويبيّن تنوع الأدوار التي قام بها منذ ظهوره مرورًا بمرحلة الاستعمار وما بعد الاستقلال، كما استخلص أنواع الأزمة التي واجهها خلال هذه الفترة الزمنية وأسبابها وتجلياتها، ثم ختم بمحاولة استشراف المستقبل من خلال آفاق التجديد ومجالاته في ظل التحديات التي تطرحها العولمة.

وتلا هذا البحث بحث آخر للدكتور عبد القادر بقشى، أستاذ التعليم العالي بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط، بعنوان "التعليم العتيق بالمغرب بين سؤال الخصوصية ورهان التحديث" عرض للنموذج المغربي في تحديث التعليم العتيق، وتحسينه من كل أشكال التطرّف، مع الحرص على الاستفادة من مُكتسباته، في نوع من التفاعل الإيجابي مع التحولات الرقمية والقيمية والاجتماعية والسياسية المُستجدة، بالتوازي مع السعي إلى تحقيق رهان تحديث التعليم العتيق في ظل إكراه المحافظة على خصوصياته الدينية والتاريخية والعلمية والبيداغوجية ما أكسب النموذج المغربي طابعًا خاصًا لخصوصية الاستراتيجية المُندجة المعتمدة في تأهيل الشأن الديني عمومًا.

الموسوم بـ"مناهج التدريس عند المغاربة في التعليم العتيق" جهود علماء المغرب في التدريس والتأليف التي مثلت مؤسسات التعليم العتيق أهم تجلياتها. وتمثلت هذه الجهود في عناصر أساسية في عملية التعلم هي تكوين الشيخ العالم المدرس، ومنهج الدرس، وتفاعل الطلاب، ووقت الدرس ومكانه، والمقرر المدرّس. وقد فصل الباحث في هذه العناصر وعدّد خصائصها وبيّن آثار تضافر هذه العناصر من خلال تقديم نماذج حية لمؤسسات للتعليم العتيق في المغرب عبر التاريخ. ودعا البحث إلى ضرورة الاستمرار في بذل الجهد لتحديد رؤية منظومة التعليم العتيق ورسالتها وأهدافها ومخرجاتها.

وقد اختتمت جلسات اليوم الأول بورقة للدكتور أحمد أيجو، مفتش تربوي بالجديدة، في موضوع "مناهج التدريس بالتعليم العتيق والتحوّلات العولمية"، وصف فيها مناهج تدريس علوم اللغة العربية بالتعليم العتيق وفق النظام القديم، من خلال بيان المواد التي تم اعتماد تدريسها بالتعليم العتيق، مع وصف الطريقة التي تدرس بها في ظل الصيغة القديمة للتعليم العتيق. كما رصد البحث سمات التجديد في منهجية تدريس مواد اللغة العربية بالتعليم العتيق، مع استحضار الأسباب والسياق الداعي إلى هذا التحديث، مع مقارنة حال تدريس علوم اللغة العربية بالتعليم العتيق في وضعيه القديم والحديث، من خلال تحديد حجم التغييرات الحاصلة في هذا المنهج التعليمي، مع بيان نتائج هذا التحديث إيجابًا وسلبيًا.

للمجتمع، والمدخل القيمي يجعل القيم الدينية والحضارية الإسلامية أرحمة المناهج عبر مختلف مكوناتها ومراها، والمدخل الوظيفي من خلال تحديد الوظائف التنموية الحضارية والاقتصادية والاجتماعية التي قد يسهم بها في المجتمع. وقد فصل في هذه المداخل وقدم أسسا ومعالم موجهة لإصلاح منظومة التعليم العتيق.

انطلق موضوع الورقة المعنونة بـ **"التجديد التربوي في التعليم الديني بالمغرب، الواقع والمأمول"**، التي قدمها الدكتور عمر آيت أوعمر، مفتش تربوي بمكناس، من سؤال التشخيص الدائر حول واقع التعليم العتيق في سيرورته التاريخية في المغرب، حيث تتبع مظاهر التجديد في النموذج المغربي للتعليم العتيق، مع الوقوف عند سياق تجديد التعليم العتيق، ومظاهر الأزمة المفترضة. كما أبرزت الورقة ملامح التجديد التربوي في التعليم العتيق على مستوى الوثائق المنظمة له، ومدى تجلي المقاربة التجديدية التي تجيب عن تساؤلات الأزمة في مرحلة التقنين والتخطيط. ووقف الباحث مع الممارسة التقويمية في التعليم العتيق؛ ليخلص إلى نتائج التجديد التربوي الحاصلة في الرهان المعقود على التعليم العتيق، وكذا النتائج الحاصلة لخريجي التعليم العتيق بالمغرب بين الواقع والمتوقع؛ سواء تعلق الأمر بالنتائج على صعيد التحصيل المعرفي، أو في جانب الاندماج الاجتماعي، والتأثير الإنتاجي لهذه الفئة من المتخرجين.

وتلى هذه الورقة بحثٌ قدمه الدكتور عبد السلام ولد حرمة، أستاذ التعليم العالي بجامعة نواكشوط، بعنوان **"تطوير مقررات**

وختمت هذه الجلسة بورقة للدكتور المهدي السعيدي، أستاذ التعليم العالي بجامعة ابن زهر-أكادير، قدمها عن بعد في موضوع **"المدارس العتيقة بالمغرب ومعضلة استمرار النخبة العالمية، حالة منطقة سوس"**، بيّن فيها أن مهمة مؤسسات التعليم العتيق الأساسية كانت الحفاظ على النخبة العالمية، ودوام إمدادها بالأجيال الجديدة حتى تواصل مهمتها في رعاية التدين وتسديده لما فيه خير الفرد والمجتمع، غير أن هذه المدارس ما فتئت في العصر الحديث أن زوحت في وظائفها، سواء بالمنع والقهر في عهد الاستعمار أو المضاهاة في عهد الاستقلال، فقد صار تكوين النخب العالمية منوطًا بالتعليم الرسمي المنظم على النمط الغربي، في كثير من مقرراته ومناهجه وأساليبه، فانكششت المدارس العتيقة ليقصر عملها على مد المؤسسات الجامعية المغربية بالطلبة، ويتمكن نبغائهم ومتفوقوهم وهم قلة قليلة من الانتماء إلى النخبة العالمية الرسمية المؤثرة، التي يراد لها أن تقوم بتدبير شؤون الدين، من خلال المجالس العلمية بمختلف الأقاليم.

وضمن المحور الرابع، قدم الدكتور عبد الحميد عشاق، أستاذ التعليم العالي بمؤسسة دار الحديث الحسنية، ورقة علمية في موضوع **"معالم منهجية كلية لإصلاح التعليم الديني النهائي"** بسط فيها مقترحات أفكار منهجية من شأنها أن تسهم في تجاوز المشاكل التي ما زالت تعيق جودة التعليم بما يفضي إلى مخرجات رصينة من خلال مداخل متعددة أهمها المدخل الإدماجي بدمج التعليم الديني في المنظومة التربوية الوطنية

ومارسه. من المؤتمنين على الثوابت الروحية والمذهبية والوطنية وفق خصوصية كل قطر من الأقطار المغاربية.

3. إعادة الاعتبار للغة العربية باعتبارها وسيلة التدريس، وتجديد النظر في طرائق تدريسها.

4. تحقيق التوازن بين المضامين العلمية والوعاء الزمني المخصص لها. بإعادة هيكله المواد والمقررات.

5. العمل على مد الجسور بين التعليم العتيق والتعليم العصري بما يحقق التكامل بين الأنماط التعليمية المختلفة واستفادة بعضها من بعض.

6. العمل على إدماج خريجي التعليم العتيق في سوق الشغل وتأهيلهم لذلك.

7. المزيد من العناية بالقيمين على التعليم العتيق أساتذة ومشرفين وإداريين تحسيناً لأوضاعهم وتطويراً لوسائل عملهم، بما يحقق مقاصد هذا التعليم العلمية والتربوية والاجتماعية.

كما قرأ الدكتور بوشتي الزفزوفي، أستاذ التعليم العالي بمؤسسة دار الحديث الحسنية، البرقية المرفوعة إلى جلالة الملك محمد السادس نصره الله بهذه المناسبة.

واختتمت أعمال هذا المؤتمر بقراءات شعرية، كما كانت الجلسة الختامية مناسبة لتكريم شيوخ التعليم العتيق بالمغرب: حيث تم تكريم خمس وعشرين شيخاً من مختلف أنحاء المملكة.

التعليم الأهلي في الصحراء وجنوب

الصحراء"، أجاز فيه عن إشكالية كيفية فك عزلة التعليم الأهلي عن الإصلاحات على مستوى قطاع التربية والتعليم في الصحراء وجنوب الصحراء، حيث قدم نبذة عن التعليم الأهلي في هذه المنطقة الجغرافية، وعرض لمقتضيات وآليات تجديد مقرراته من خلال مراجعة المناهج ومساعدة الخريجين على القيام بدورهم في نشر الوعي الديني الصحيح، ووضع ملامح لتطوير محاور الدرس الشرعي، وإعانة الخريجين من خلال التدخل على المستوى المادي والمعنوي والمؤسسي لضمان نظام تربوي يوائم بين طلب العلم الشرعي لذاته تعبدًا وتقربًا إلى الله وبين الاستعانة به في وسيلة العيش الكريم وتوظيفه في التنمية داخل المجتمع.

في الجلسة الختامية للمؤتمر قرأ الدكتور محمد ناصيري، أستاذ التعليم العالي بمؤسسة دار الحديث الحسنية، البيان الختامي الذي لخص فيه أهم ما جاءت به الأوراق المشاركة في هذا اللقاء العلمي، وضمّن فيه التوصيات المجملّة في:

1. إعداد خطة استراتيجية مندمجة تمكن التعليم التقليدي من مواكبة التحولات المعرفية والمهارية التي يتطلبها تطور المعارف والكفايات المنافسة، وتؤهله للاندماج في الدورة الإنتاجية، وتُقدِّره على مواجهة التحديات الكبرى التي تهدّد بقاءه.

2. إسناد مهمة الإشراف على مؤسسات التعليم العتيق إلى من خبر هذا التعليم